

٢

عمر رضي الله عنه في القدس

خليل محمود الصمادي

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصمادي، خليل محمود

عمر رضي الله عنه في القدس.- الرياض.

٢١ ص، ١٧X ٢٢ سم - (سلسلة قصص من التراث)

ردمك: ١ - ٩٨٨ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١- القصص الإسلامية

أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٣١٨,٠١٨٨ ٢٢/١٥٤٦

ردمك: ١- ٩٨٨ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٥٤٦

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

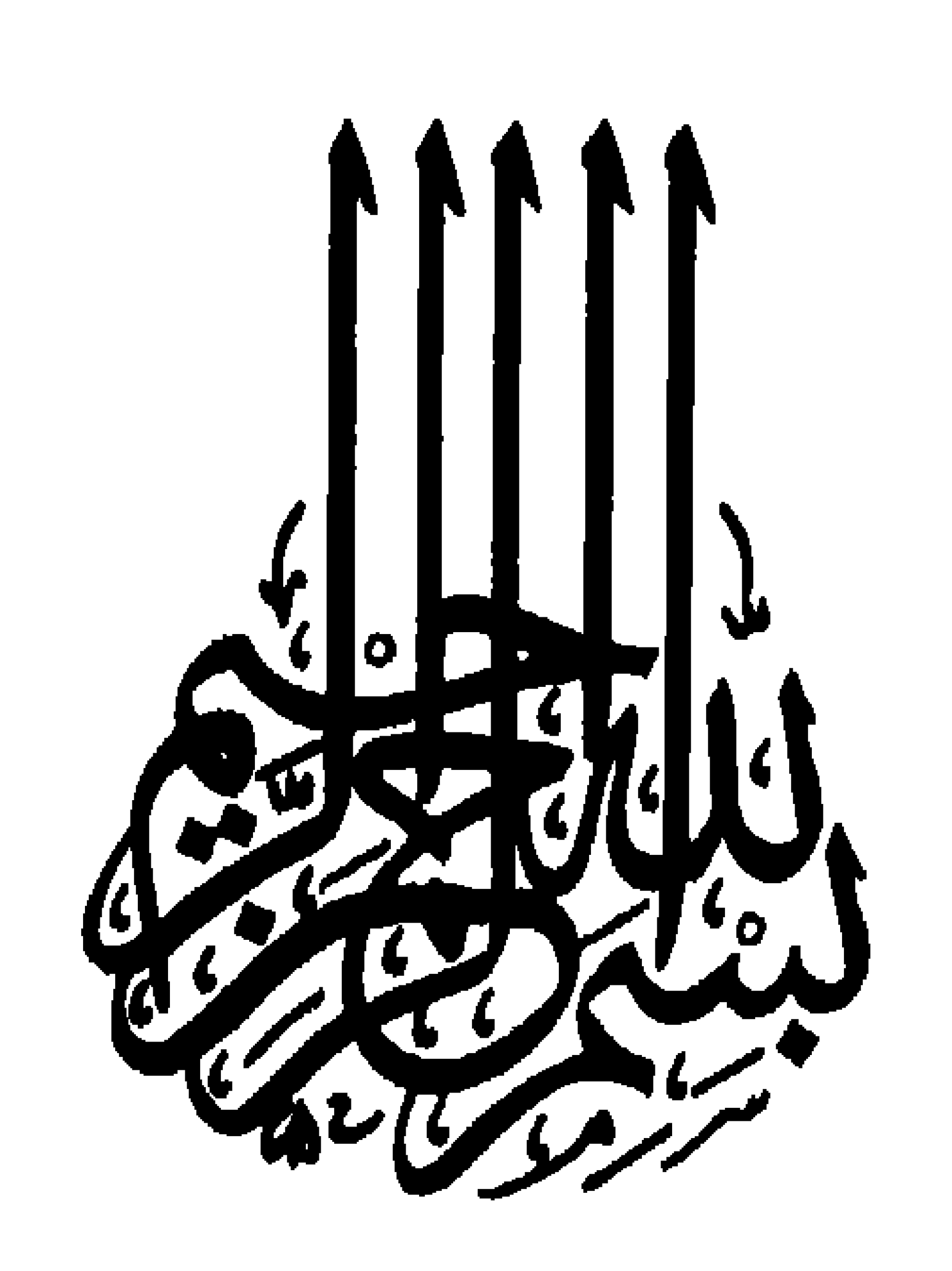
الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩



سيَّر أَبُو عبيدةَ إلى بيتِ المقدسِ سبعةَ جيوشٍ، وجَعل على كُلّ جيشٍ قائداً ضمَّ إليهِ خمسةَ آلافِ فارسٍ، وعقد لكلّ قائدٍ رايةً.

سارَ الأمراءُ السبعةُ أميراً بعد أميرٍ، ففي اليومِ الأوّلِ انطلقَ خالدُ بنُ الوليدِ بجنودهِ، فلما صارَ قريبًا من أسوارِ القدسِ كبَّر وكبَّر أصحابُه، فلما سمعَ أهلُ بيتِ المقدسِ هذا الهديرَ المدوي في عنانِ السماءِ خرجوا على أسوارِ المدينة ففزعُوا وتزعزعت قلوبُهم، ولما تأكدوا مِنْ عددِ الجيشِ اطمأنتْ قلوبُهم قليلاً وظنُوا أنَّ هذا الجيشَ هوَ جيش المسلمين كلُّه، فاستعدوا لتحصينِ مدينتهمْ، ولكنَّ فرحتهمْ لم تدمْ إلا قليلاً ففي اليومِ الثاني أقبلَ يزيدُ بنُ أبي سفيانَ مكبِّرًا مهللاً، وفي اليوم الثالث وصلَ شرحبيلُ بنُ حسنةَ بجيشهِ، وهكذا حتى انقضى اليومُ السابعُ فاجتمعَ خمسةٌ وثلاثونَ ألف مجاهدٍ منَ المسلمين.

لم يكنْ بمقدرة أهلِ القدسِ مقاومةُ هذا الجيشِ العرمرم[1]، وانْتَظرَ خالدُ ابنُ الوليدِ أنْ ياتيهُ رسولٌ من القدسِ للتفاوضِ، ومضى يومٌ ويومٌ، والمسلمونَ يحاصرونَ القدسَ ومضى اليومُ الثالثُ وكأنَّ أهل القدسِ لا يعنيهمْ هذا الجيشُ الذي يحاصرُ مدينتهمْ.

وفي اليومِ الرابعِ صاحَ أحدُ جنودِ المسلمينَ: ما بالُ القوم؟ هلْ هم صُمٌ

(١) جيش عرمرم: جيش كبير.

فلا يسمعونَ أَمْ بكمٌ فلا ينطقونَ، أَمْ عميٌ فلا يبصرونَ، أيُّها القادةُ لمَ لا نزحفُ عليهمْ؟

فلما كان اليومُ الخامسُ صلى المسلمون صلاةَ الفجرِ، وحملَ يزيدُ بنُ أبي سفيانَ سيفهُ وأخذَ يتسللُ إلى الأسوارِ وصار يقتربُ من أحدِ الأبوابِ شيئًا فشيئًا فلما رأى جمعًا من الناسِ على السورِ صرخَ بأعلى صوتِه: أيُّها الناسُ ماذا تقولونَ في إجابة الدعوةِ إلى الإسلامِ، والحق، وقولِ لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ حتَّى يغفرَ اللهُ لكمْ ذنوبكم، وتحقنُونَ بِهَا دِمَاءَكمْ، فإنْ أبيتمْ ولَمْ تجيبونا فما رأيكمْ بالصُّلحِ عنْ بلدكمْ كمَا صالَحَ غيرُكمْ ممنْ هُوَ أَشَدُّ منكمْ قوةً وأمنع حصونًا. وإنْ أبيتمْ هاتين الحالتينِ فما بيننَا وبينَكم إلا الحربُ.

فردَّ عليه رجلٌ منهم فقال له يزيدُ:

ـ مَنْ أنتَ؟

أنا صفرانيوس بطرك[1] من بطاركة القدس

ـ ماذا تقولُ فيما سمعتَهُ؟

ـ لا لنْ نرجعَ عنْ دينِنا، وإنَّ قَتْلَنَا أهونُ علينا منْ ذلكَ.

---

(١) البطرك: رئيس رؤوساء الأساقفة على طائفة معينة من النصارى.

- هَلْ هذا جوابُكَ أمْ جوابُ قومِكَ.

- بلْ هُوَ جوابي وجوابُ القومِ.

- انتظرني غداً حتَّى اجْتمع معَ القادةِ لنتشاورَفي الأمرِ.

مَشى يزيدُ إلى الأمراءِ وأخبرهمْ بما سمعَهُ. فقالوا: إنَّ أبَا عبيدةَ لم يأمرْنَا بقتالِهم وسنكتبُ لَهُ في هذا الأمرِ لنطَّلعَ على رأيه.

كتب يزيدُ بنُ أبي سفيانَ إلى أبي عبيدةَ يخبرهُ بما كانَ منْ جوابِ القومِ، فكتبَ لهمْ أبو عبيدة بأمرِ الزحفِ وأنَّهُ سيلحقُ بهمْ بعد أيامٍ.

وصلَ كتابُ أبي عبيدةَ إلى المسلمينَ ففرحُوا واسْتبشرُوا وباتُوا ينتظرونَ الصباحَ بفارغ الصبر.

أحَبَّ كلُّ أميرٍ أنْ يكونَ أولَ منْ يدخلُ القدسَ ليصليَ هناكَ وباتَ المسلمونَ وكلٌّ يتمنَى أن يبزغَ الفجر سَريعًا، ها قد اقتربَ الفجرُ وأذنَ المؤذنُ للصلاةِ قاموُا وتوضأوُا وصلُّوا خلفَ القائدِ يزيدَ الذي قرأ قوله تعالى:

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

فلمَّا فَرغُوا من الصلاةِ نادُوا: الجهاد الجهاد، يا خيلَ اللهِ اركبي، وياريحَ الجنةِ أقبليَ..

انطلقَ المسلمونَ رجالاً[١] وفرسانًا يسلُّونَ سيوفهم ويمتشقون نبالهم إلى أسوارِ القدسِ المنيعة أخذَ النصارى يرشقونَ المسلمين بالنبالِ فكانتْ كالجرادِ يتلقونَها بدروعهمْ وكان المسلمونَ يرمونهمْ كذلكَ ولم يظهروا إلا الشجاعة والإقدام وانطلق التكبير يجلجل[٢] في كل مكان وناحية حتى أفزع الصليبينَ. وظلوا على هذهِ الحالِ حتى غَربتِ الشَّمْسُ فرجعَ المسلمونَ وصلَّوا ما فرضَ اللهُ عليهمْ وأخذوا في تنظيمِ صفوفهمْ وإصلاحِ شأنهمْ فلمَّا فَرغوُا مِنْ ذلكِ أَوقدوا النيرانَ العظيمةَ، فلما كانَ الغدُ انطلقوا إلى أسوارهِمْ وهمْ يذكرونَ اللهَ مكبرينَ ومهللينَ، وتقدَّمَ رماةُ النبلِ يرمُون نبالهمْ القويةَ، ولمْ يكلُّوا أو يملُّوا حتَّى كانَ اليومُ الحادي عشر من الحصار إذ أشرقتْ عليهمْ رايةُ أبي عبيدةَ ومنْ ورائِها فرسانُ المسلمين فضجَّ المكانُ بالتهليلِ والتكبيرِ فوقعَ الرعبُ في قلوبِ أهلِ المقدسِ، عندئذٍ أدركوا قوةَ المسلمين وأنهُ لا طاقةَ لهمْ بهمْ فصاحَ رجلٌ منْ أعلى السورِ: أيُّها المسلمونَ كُفُّوا عنَ القتالِ، نريدُ أن نفاوضَكمْ نريدُ أنْ نَرى هذا الأميرَ القادمَ فإنْ كانتْ صفتُهُ كما هِيَ في كتبِنَا فَلاَ نقاتلُكم بلْ نصالحكم وإنْ لمْ يكنْ إياهُ فلا نستسلم إليكمْ أبداً.

فلما سمعَ المسلمونَ ذلكَ فرحوا وأسرعُوايزفون البشرى لأبي عبيدة.

خرج أبو عبيدةَ إليهمْ حتى صارَ قريبًا منهمْ. نَظَرَ إليهِ صُفْرانيوس وقالَ:

---

(١) رجالاً: مشاةً.

(٢) الجلجلة: شدة الصوت.

لا لَيْسَ هذا هُوَ الرجلُ، يا معشر النصارى قاتِلوا ولا تستسلموا أبداً، ولم يزدْ عنْ ذلكَ شيئًا.

عَادَ النصارى يقاتلونَ ويرمونَ نبالَهم، واستمروا على هذه الحالة مدة طويلة وكانَ ذلَك في الشتاءِ فظنُوا أنَّ العربَ سينسحبونَ خشيةَ البردِ، إذْ لا خبرةَ عندَهمْ بالحروب في الشتاءِ.

حاصَرَ أبو عبيدةَ القدسَ أربعةَ أشهرٍ كاملةٍ وكلَّ يومٍ يقاتلهمْ قتالاً شديداً والمسلمونَ صابرونَ على البردِ والثلجِ والمطرِ، ولما أزمعَ الشتاءُ على الرحيلِ رأى أهلُ المقدسِ شدة المسلمين وصبرهم فقصدوا صفرانيوس وشرحُوا له ما آلتْ إليهِ حالُهم، وطلبوُا منهُ أنْ يصالحَ المسلمينَ ويَرى ما يريدونَ.

صعدَ صفرانيوس السورَ وأشرفَ على المكانِ الذي فيهِ قادة الجيوش فنادى رجلٌ منهم: يا معشرَ المسلمينَ إنَّ عُمدة دينِ النصرانيةِ وصاحب شِرْعَتها قدْ أقبلَ يخاطبكمْ فلْيدنُ منا أميرُكم. سَمِعَ أبو عبيدةَ مقالَهمْ فقال: واللهِ إني لأجيبُهُ حيثُ دعاني ثمَّ قامَ مع جماعة منَ الصحابةِ والأمراءِ وسارُوا باتجاهِ إحدى البوابات

خرجَ صفرانيوس معَ جماعةٍ منْ رجالهِ وتقدمَ منْ أبي عبيدةَ فحدَّقَ فيه مليًا ثمَّ قال:

ما الذي تريدونَهُ منَّا؟ إنَّ هذهِ البلدةَ مقدسةٌ، إنَّ منْ قصدَها يوشك أن يغضبَ اللهُ عليهِ ويهلكهُ.

– نعم إنها بلدةٌ مقدسة وشريفةٌ ومنها أُسريَ بنبينا إلى السماءِ، فنحنُ أحقُ بها منكم.

– فما الذي تريدونَه هنا.

– خصلةٌ منْ ثلاثٍ

– ما هي؟

– أَوَّلها أنْ تدخلوا في دين اللهِ، فإنْ دخلتمْ كانَ لكم مالَنَا وعليكُمْ ما عَلَينَا

– نحنُ نؤمنُ باللهِ ونحنُ اتباعُ عيسى نبينا العظيمِ.

– نحن نؤمن بعيسى بنِ مريمَ، عليه السلامُ فلو كَان معكمْ لاتَّبعَ محمداً عليه السلام.

– نحن نحترمُ دينكم وهذهِ الخصلةُ لا نجيبكم إليها، فما الثانيةُ.

– تصالحوَننا عن بلدكمْ، أو تؤدون الجزية إلينا كما أدَّاها غيرُكم في أهلِ الشَّامِ.

- هذهِ الخصلةُ أعظمُ من الأولى فلن نرضاها.

- إذن نُقاتلكمْ حتَّى يظفرَ اللهُ بكمْ.

ظل أبو عبيدةَ يحاورُ صفرانيوسَ مدةً يحاولَ فيها أنْ ينهي الحرب بصلحٍ مع النصارى وفجأةً ذُهِلَ مما سمِعَهُ.

قال صفرانيوس: إننا نجدُ في كتبنا أنَّهُ يفتحُ هذهِ البلدةَ صاحبُ محمدٍ.

- أنا صاحبُ محمدٍ

- لا لستَ أنتَ بالذي يفتحها، الفاتحُ اسْمُهُ عمرُ ويعرفُ بالفاروقِ وَهو رجلٌ شديدٌ لا تأخذهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ، وَلَسْنا نَرى صفتهُ فيكم.

عندها تبسمَ أبو عبيدة ضَاحكًا وقالَ:

إذا رأيتَ الرجلَ تعرفهُ.

- نَعمْ وكيفَ لا أعرفهُ، فصفتهُ كَذا وَكَذا، وعُمرهُ خمسةٌ وخمسونَ عامًا!!

- هُوَ واللهِ خليفتُنا وصَاحبُ نبيِّنَا محمدٍ.

- إنْ كانَ الأمرُ كذلكَ فقدْ عَلِمْتَ صدقَنا، فاحقنِ الدماءَ وابْعثَ إلى

صاحبكَ أَنْ يأتيَ فإذا رأيناهُ وعرفنا صفاتِهِ فتحنَا لهُ البلدَ منْ غيرِ همٍّ ونكدٍ وأعطيناهُ الجزيةَ.

- ولكن أينَ عمرُ الآنَ، إنَّهُ في المدينةِ المنورةِ، وأنتَ تعرفُ كَمْ هِيَ بعيدةٌ.

- أعرفُ ذَلكِ، ولكنْ هَذا شرطُنَا.

أمَّر أبو عبيدة المسلمينَ بالكفِّ عنْ قتالِ أهلِ القدسِ وكتبَ إلى عمرَ كتابًا قالَ فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عبدِ الله أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ، مِنْ عَاملِهِ أبي عبيدةَ عامرِ بنِ الجراحِ أمَّا بَعْدُ:

السلامُ عليكَ، فإني أحمدُ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هُوَ وأصلِّي على نبيهِ محمدٍ ﷺ، واعلمْ يا أميرَ المؤمنين إنا منازلون لأهلِ مدينةِ إيلياء[١] نقاتلهم أربعةَ أشهر، كلَّ يومٍ نقاتلهمْ ويقاتلوننا، وقدْ لقي المسلمونَ مشقةً عظيمةً منَ الثلج والبرد والأمطارِ إلا أنهمْ صابرونَ على ذلكَ ويرجونَ اللهَ ربَّهُمْ. فلما كانَ اليومُ الذي كتبتُ إليكَ الكتابَ فيهِ، أشرفَ علينا بَطْرِكُهمْ الذي يعظمونَهُ وقالَ إنَّهمْ يَجدونَ في كتبهمْ أنَّهُ لا يفتحُ بلدَهَمْ إلاَّ صاحبُ نبينا واسمه عمرُ وأنَّهُ يعرفُ صفتهُ ونعتهُ وَهوَ عندهمْ في كتبهمْ وقدْ سألنا حقنَ

(١) إيلياء: الاسم القديم للقدس.

الدماءِ، فسرْ إلينا بنفسِكَ وانجدْنا لعلَّ اللّٰهَ أن يفتحَ هذهِ البلدةَ علينا على يديكَ»

ثمَّ طوى الكتابَ وختمهُ وأرسلَهُ إلى عمَرَ بنِ الخطابِ.

وَصَلَ الكتاب إلى عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه وقرأه فعزمَ الرحيلَ إلى القدسِ.

طلبَ منْ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه أنْ يتولى أمورَ المسلمينَ في غيابهِ لكنَّ عليًا فوجئ بما سيقوم به عمر فَحَاولَ أنْ يثني الخليفةَ عن عَزْمِهِ فقالَ لهُ: كيفَ تخرجُ بنفسكَ؟ إنكَ ترحلُ إلى عدوٍ قويٍ.

فقالَ عمرُ: وَمالي ولأَعْدائي، وما عليَّ أنْ أشاركَ إِخْواني الجهادَ في سبيلِ اللّٰهِ، وحاولَ كبارُ الصحابةِ ثنيهِ لكنَّ عمرَ أصرَّ على الذهابِ إلى القدسِ. أَمَرَ خَادِمَهُ بإعدادِ الراحلةِ التي ستقلُّهم إلى هناكَ، وأبلغَهُ أنْ يكونَ مستعدًا للسفرِ معَهُ بعدَ صلاةِ فجرِ هذهِ الليلةِ إنْ شاءَ اللّٰهُ تعالى.

أمَّ عمرُ بنُ الخطابِ المسلمينَ في مسجدِ رسولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم ولما انتهى من الصلاةِ أَوْصَى عَلِيًا بالمسلمينَ خيرًا، وخرج على بعيرٍ له أحمر وعليه غِرارتان(١) في إحداهما سَوِيقٌ(٢) وفي الأُخرى تمرٌ وبين يديه قربةٌ مملوءةٌ ماء

(١) الغرَارةُ: كيس من الخيش ونحوه توضع فيه الحبوب.

(٢) السَّوِيقُ: طعام يتخذ من دقيق الحنطة أو الشعير.

وخلفه[1] جَفْنَةٌ للزاد، وخرج معه جماعة من الصحابة يشيعونه ما شين ولَمّا سَارُوا مسافةً طويلةً طَلبَ منهم أنْ يَعودوا فدعوا لَهُ بالتوفيقِ والخيرِ قائلين:

«نستودعُ اللهَ لكَ خواتيمَ أعمالك»، ورجعوا إلى بيوتهم.

سارَ الموكبُ المهيبُ نحو الشامِ، وأخذتْ مدينةُ رسولِ اللهِ ﷺ تبتعدُ شيئًا فشيئًا عن أنظارِ عمرَ وخادمِهِ، ولكنَّ قلبيهما ظلا معلقين بِها.

أشرقت الشمسُ وَبدتِ الجبالُ والهضابُ شامخة كشموخ إيمانِ عمرَ تتخللها الأشعةُ الذهبيةُ، وبدتْ رمالُ الصحراءِ تتلألأ كالذهبِ وفاحتْ روائح الخزامى تملأ الجو عطرًا، عند ذلك أحسَّ عمرُ بالتعب فامتطىَ البعير، فأخذ الخادمُ بلجامِها يمشي أمامَهُ، وما هيَ إلا لحظات حتى أمرَ عمرُ غلامَهُ بالوقوفِ، فترجَّلَ عن بعيره، وأمر غُلامَهُ أنْ يمتطيها، دهشَ الغلامُ منْ طلبِ عمرَ، ورفضَ أنْ يركبَ، إلاَّ أنْ خليفةَ المسلمينِ أصرَّ علىَ ذلكَ، فنزلَ الغلامُ عند رغبتهِ، وركب البعيرَ مُكرهًا، فتقدمَ عُمر وأمسك بلجامها وسار أمامَ الدابةِ والغلامُ يمتطيها، وأخذ يتلو سورة يس ﴿ **يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ...** ﴾ انْطَلقتِ الآياتُ الكريمةُ تصدحُ في السماءِ، معلنةً بلوغَ المسلمين حضارةً لم تبلغها أمةٌ قبلهمْ، ومُعْلنةً العدلَ والمساواةَ والتواضعَ في بلاد المسلمينَ.

---

(١) الجَفْنَةُ: وعاء يوضع به الطعام.

وما إن فرغَ عمرُ من قراءةِ السورةِ بقوله: ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ حتى وقفَ واستدار إلى الغلامِ وأمرهُ أنْ يترجلَ عن الدابةِ.

استجابَ الغلامُ لأمرِ عمرَ وكَم تمنّى لو أنَّهُ أُمِرَ بالترجل قبلَ ذلكَ، فهوَ لا يصدقُ نفسَهُ يركبُ الدابةَ، وعمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقوده!!

أسرعَ الغلامُ وأخذ لجامَ الدابةِ منهُ، وظنَّ أنَّ عَمر سيمطتي الدابةَ لكنَّ ظنَّهُ خابَ، فقد أمرهُ أنْ يمشي حذاءه[1] ويتركَ الدابةَ تمشي وحدَهَا، ثمَّ أمَرَ بتلاوةِ سورةِ يس...

أخذَ الغلامُ يتلوُ السورةَ فتلاها كلَّها، ولما انتهى منها، قال عمرُ الآن جاءَ دوري في الركوبِ، فامتطىَ الدابةَ وأخذَ يقرأُ السورةَ الَّتي لمْ تفارقْهُمْ مدةَ الرحلةِ الطويلةِ.

وهكذا ظلَّ عمرُ وخادمُهُ يتناوبانِ ركوبَ الدابةِ، مرةً لعمرَ، ومرةً للخادمِ ومرةً تمشي خلفهما، وكانَا كلَّما شعر بالإرهاقِ والتعبِ يستريحان ويتناولانِ طَعامَهُمَا اليسيرَ المكوَّنَ منْ تمرٍ وسويقٍ وماءٍ، والدابةُ ترعى هُنَا وهُنَاك بينَ أعشابِ الصحراءِ.

(١) حذاءه: جانبه.

مرتْ أيامٌ عديدةٌ، والموكبُ في طريقهِ إلى القدسِ، وعمرُ مازالَ في عَدْلِه يركبُ حينًا وينزل حينًا وهكذا.

عَلمَ أبو عبيدة بوصول الموكب المهيب إلى أطراف بيت المقدس فخرج لملاقاته مع بعض أصحابهِ.

ها هو الموكب يقترب. لم يستطعْ أبو عبيدة أن ينتظر كثيرًا، فامتطى بعيرهُ قاصداً خليفة المسلمين وتبعه أصحابه، وما أن اقتربا حتى أناخَ عمرُ بعيرهُ وترجَّل[1] كلاهما وَمدَّ أبو عبيدة يده فصافح عمرَ وتعانقا وأقبلَ المسلمونَ يسلمونَ على عمرَ، ويسألونه عن حاله وعن حال المسلمين ويسألهم هو كذلك.

ولما همَّ عمرُ بالركوبِ والسيرِ تجاه القدسِ وجَدَ المسلمونَ ثوبَهُ مرقعًا وبعيرهُ هزيلاً، فقالوا له: لَوْ ركبتَ بدلَ بعيركَ جواداً، ولبستَ ثيابًا بيضاء، فاستحسنَ الرأيَ، فدفعوا إليهِ خيلاً أشهبَ منْ أجودِ الخيول، وَلبسَ ثوبًا أبيضَ جميلاً، فلما صارَ على ظهر الخيل، وسار به قليلاً أحس شيئًا ما، عندها نزلَ عَنْهُ غَضبًا ثم صاح: هاتُوا برُدْتي وبعيريْ؛ فقدْ كدتُ أهلكَ بما دخل في قلبي منَ العُجْبِ والكبرِ، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا يدخلُ الجنةَ مَنْ كان في قلبهِ مثقالُ ذرةٍ منْ الكِبَرِ» وعادَ إلى ما كانَ عليه منْ

(١) ترجل: نزل عن دابته.

لبسٍ ومـركبٍ، ثـمَّ سَـارَ في طريقـهِ إلى القـدسِ، وتبـعَـهُ المسلمـونَ وهـم مشدهون مما فعله.

عَلِمَ المسلمونَ والنصارى بأنَّ موكبَ الخليفةِ في طريقهِ إلى القدسِ، فخرجُوا إلى جبلِ الطورِ القريبِ منَ القدسِ لاستقبالِ الخليفةِ.

وأخيراً بَدَتِ القدسُ لعمرَ بنِ الخطابِ بأسوارِها وكنائِسها، وجبالِها فحمدَ اللهَ تعالىَ، ورأى القومَ على سفحِ جبلِ الطورِ فعلمَ أنَّ الناسَ في انتظارِهِ.

سارَ نحوَ القومِ، هَا هُوَ يقتربُ منهمْ، سارَعَ بعضُ النصارىَ إلى الموكبِ يرحبُ بالراكبِ على الدابةِ قائلينَ لَهُ: أهلاً بكَ يا بنَ الخطابِ...

لم يْصدقُوا ما سمعُوا:

أَنَا لستُ عُمرَ، أَنا خادمُ عمرَ، إنَّ عُمرَ هذا الرجلُ الذي يمسكُ بالحبلِ، إنهُ الرجلُ الذي يقودُ الدابةَ..

دَهِشَ الناسُ هَلْ يعقلُ أنْ يركبَ خادمُ عمرَ الدابةَ ويقودَها أميرُ المؤمنين بنفسهِ!!.

لم يْستغربِ الرهبانُ والبطارقةُ ولا صفرانيوسُ الذيْ كانَ ينتظرُ عُمَرَ بنَ

الخطابِ، فَهُمْ يعرفونَ صفاتِ الخليفةِ العادلِ، فقد عرفوه عندمَا نَظرُوا إلى ثوبِ الذي يقودُ الدابةَ فأيقنوا أنه خليفةَ المسلمين، لقد رأوَا فيه أربعَ عشرَةَ رقعةً، فتركوا العوامَ في دهشتهمْ وقامُوا إلى عمرَ يرحبونَ به، وبكَى صفوانيوس وقالَ: إن دولتكم باقية على الدهرِ، فدولة الظلم ساعةً ودولةُ العدلِ إلى قيام الساعةِ.

سارَ عُمر مع صفوانيوس وأساقفةِ النصارى ودخلُوا إحدى كنائسِ القدسِ، جلسَ عمرُ في الكنيسةِ فنظرَ أحدُ الرهبانِ إلى ظهرِه فوجدَ رقعةً في ثوبه قد اتسعتْ فطلبَ منهُ أن يأخذَ البردةَ ليخيط لهُ الرقعةَ.

استجابَ عمرُ لطلبِه. وخلعَ بردتَهُ ودفعها إليه فأخذها وخرجَ فرحًا ثمَّ لبَسها وهو لا يصدق أنه يرتدي بردة الخليفة. وبعد قليل أحضَر له بردةً جديدةً من القماشِ الجيدِ، فرفضها عمرُ وطلبَ بردتهُ فخلعها الراهب وردَّها لعمر وهو لا يصدق عينيه!!

أيفضل بردته المرقعة البالية على هذه البردة الجديدة؟

أخذ الراهب بردته الجديدة وهو يفكر في أمر هذا الرجل العظيم.

تقدمَ صفرانيوس منْ عمرَ بن الخطابِ وتشاوروا في أمر الصلح وبعدَ أن اتفقا على شروطِهِ أحبَّا أن يكونَ مكتوبًا فكتباهُ وهُوَ:

هذا ما أعطى عبدُالله أميرُ المؤمنين أهلَ إيلياء منَ الأمانِ. أعطاهُم أمانًا لأنفسهم وأموالهمْ، ولكنائسهم وصلبانهمْ وسقيمها وبريئها وسائرِ ملتها أنَّهُ لا تُسكنُ كنائسهمْ ولا تهدمُ. ولا ينتقصُ منها ولا منْ حيزها ولا منْ صلبهم ولا منْ شيءٍ منْ أموالهمْ، ولا يُكرهونَ على دينهمْ، ولا يضارُّ أحدٌ منهمْ، ولا يسكنُ بإيلياءَ معهمْ أحدٌ منَ اليهودِ...».

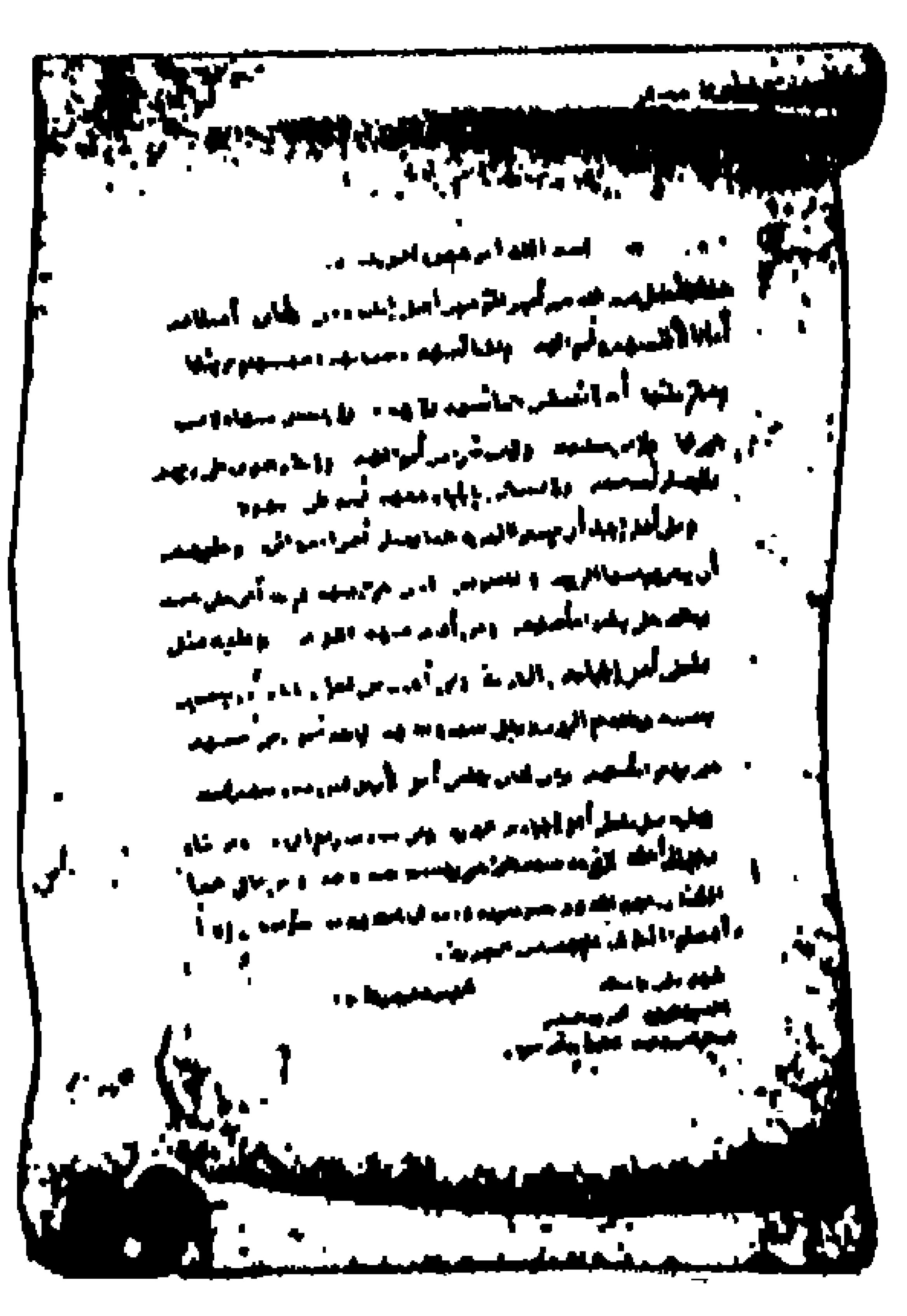
تسلَّمُ عمرُ بنُ الخطابِ مفاتيحَ المدينةَ منَ النصارى وحانَ موعدُ الصلاةِ، وسمعَ عمرُ المؤذنَ يؤذنُ، وأرادَ أن يخرجَ من الكنيسةِ ليصليَ فطلب منهُ صفوانيوس أن يصليَ في الكنيسةِ، فرفض، عندها سألَ صفوانيوسُ عمرَ لماذا رفضت الصلاةَ في الكنيسة أجابَهُ عمرُ: لا أحبُّ أن يأتي قومٌ بعدي يخرجونكم من الكنيسة ويهدمونها ويقولون: هُنَا صلىَ عمر بن الخطاب..

وبَعْدَ أنْ صلَّى عمرُ قربَ الكنيسةِ سارَ نَحْوَ الصخرةِ المشرفةِ فوجدَ فوقها تراباً كثيراً فتناولَ رضي الله عنه ثوبَهُ ووضعَ فيهِ كثيراً من الترابِ وحملَهُ معَ بعضِ المسلمينَ وألقوه بعيداً وبادرَ كثير من المسلمينَ بإزالةِ الترابِ عنَ الصخرةِ حتى لمْ يبق شيءٌ، وصلى أمامَ الصخرةِ مَعَ جمعٍ منَ المسلمينَ وأمرَ بإقامةِ الصلاةِ في هذا المكانِ في كلِّ أوقاتِها.

أقامَ عمرُ في بيتِ المقدسِ عَشرةَ أيامٍ نظَّم خلالَها أحوالَ المسلمين

والنصارى وسارت الأمورُ على ما يرامُ ثُمَّ عادَ بعدَ ذلكَ إلى مدينةِ رسولِ الله ﷺ، وتابعتْ جيوشُ الفتحِ سيرَها نحوَ مِصْرَ وغيرِهَا لنشرِ رايةِ التوحيدِ خفاقةً فوقَ كلِّ مدينةٍ وصلوا إليهاَ.

وظلت المدينة تحت رعاية الخلفاء المسلمين، وقد تعاهدوا أسوارها ومسجدها بالبناء والترميم، ويحتفظ كثيرٌ من مرافقها بلمسات البناء الأيوبية والمملوكية والعثمانية حتى اليوم. وبقيت القدس تحت الحكم الإسلامي منذ الفتح العمري سنة ١٧هـ/٦٣٨م وحتى اجتزاء اليهود قسمًا منها عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، ثم احتلوا ما تبقى منها عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م. وهي الآن بأسوارها ومسجدها الأسير تنتظر الفاتحين المسلمين.



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم. ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم. ولا ينتقص منها ولا من حيزها. ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع الى أهله، لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك

خالد بن الوليد — عمرو بن العاص — عبد الرحمن بن عوف — معاوية بن أبي سفيان

كتب وحضر سنة ١٥ هـ

عمر بن الخطاب